# المحاضرة الأولى

## ماهية الشعر

### تمهيد:

ربط الفلاسفة الإسلاميون مجتمعين الشعر بـ(التخييل)، والمفترض أن هذا المصطلح يقابل مصطلح (المحاكاة) اليوناني، ولكن هؤلاء الفلاسفة وظفوا المصطلحين مجتمعين تارة، ومنفصلين تارة أخرى.

يتحدد مفهوم التخييل من خلال نوعية التأثير على المتلقي في مقابل أنواع أخرى من الوسائل المعرفية التي تحدث أشكالا متباينة من التأثير: اليقين، الظن، الإقناع...

يرى الفلاسفة الإسلاميون أن الشعر الذي هو تخييل سبيل من سبل المنطق، فقد أثير ضمن منطومة من المباحث المنطقية التي تهدف إلى تأثيرات مختلفة في المتلقين، إنه يقابل: البرهان، والجدل، والمغالطة، والخطابة.

إن حقيقة الشعر تتجسد من خلال الصورة التي تكون في مقابل (المادة) التي هي وجود بالقوة. فبمجموعهما (الصورة-المادة) يكون الشعر.

وسنركز في هذه المحاضرة على قطبين من أقطاب المدرسة الفلسفية الإسلامية، وهما: ابن سينا، والفارابي.

### أولا/- ابن سينا:

يثير ابن سينا قضية الشعر من خلال مقابلته بطرق المنطق الأخرى، إن: «الشعر كلام مخيل، مؤلف من أقول ذوات إيقاعات متفقة متساوية، متكررة على وزنها، متشابهة حروف الخواتيم؛ فـ(الكلام) جنس أول للشعر، يعمه وغيره مثل الخطابة والجدل وسائر ما يشبهها. وقولنا: (من ألفاظ مخيلة) فصل بينه وبين الأقاويل العرفانية التصديقية التصورية على ما عرفت في صناعة أخرى. وقولنا: (ذوات إيقاعات متفقة) ليكون فرقا بينه وبين النثر. وقولنا: (متكررة) ليكون فرقا بين المصراع والبيت. وقولنا: (متساوية) ليكون فرقا بين الشعر وبين نظم يأخذ جزآه من جزأين مختلفين. وقولنا: (متشابهة الخواتيم) ليكون فرقا بين المقفى وغير المقفى، فلا يسمى عندنا بالشعر ما ليس بمقفى. فأما النظر فيه من جهة ما هو مخيل فإلى المنطقي والخلقي (يشير إلى علم الجمال)، وأما النظر من

جهة الوزن المطلق وعلله وأسبابه فإلى الموسيقي، وأما من جهة الوزن الخاص عند بلاد دون بلاد -على حكم التجربة والامتحان- فإلى العروضي، وأما النظر إلى الخواتيم فإلى صاحب العلم بالقوانين»[1].

إن ابن سينا في هذا التعريف التفصيلي يبرز خصائص الشعر التي هي:

- اللفظ.
- الإيقاع.
- التخييل.

إن وظيفة المنطقي بالنسبة للشعر كما يراها ابن سينا تتحدد في بحثه عن خاصيته التخييلية، وقد يتساءل البعض: كيف له أن يجعل الشعر من مباحث علم المنطق؟. إن الذي جعله يفعل ذلك هو (القياس)، فثمة أنواع من الأقيسة التي توحد بين طرائق مختلفة في المعرفة، يقول ابن سينا: «وقصدنا الأول وبالذات في صناعة المنطق هو معرفة القياسات، والقسم الناظر منها في القياسات البرهانية. وقصدنا الثاني معرفة أصناف القياسات الأخرى، فبعضها ينفعنا بالارتياض فيها، والتخلص عنها إلى العلوم البرهانية، كالجدليات...، وبعضها ينفعنا في مصالح المدنية، ونظام المشاركة، كالخطابة والشعر. وجميع هذه كالمشتركة..في هيئة القياس وصورته، وأكثر اختلافها في موادها»[2]؛ بمعنى أن القياس كما يوجد في المنطق، فإنه يوجد في الشعر والخطابة. إن ابن سينا «يعد (المخيلات) من أصناف القضايا المستعملة بين القائسين..»[3].

**ثانيا/- الفارابي:**

إن الطرح الفلسفي الإسلامي لمفهوم الشعر، ومقارنته بأنواع الأقيسة الأخرى، جرهم إلى القول بـ(كذب) المعاني الشعرية، فالفارابي -مثلا- وصل «إلى البرهنة على أن الشعر صياغة لفظية كاذبة، لا تقدم سوى الضلال والأوهام»[4]. وهذا الحكم يبرره منطوق الفارابي نفسه إذ يقول: «وقد يمكن أن تقسم القياسات، وبالجملة الأقاويل، بقسمة أخرى، فيقال: إن الأقاويل إما أن تكون صادقة لا محالة بالكل، وإما أن تكون كاذبة لا محالة

بالكل، وإما أن تكون صادقة بالأكثر كاذبة بالأقل، وإما عكس ذلك، وإما أن تكون متساوية الصدق والكذب. فالصادقة بالكل لا محالة هي البرهانية، والصادقة بالبعض على الأكثر فهي الجدلية، والصادقة بالمساواة فهي الخطابية، والصادقة في البعض على الأقل فهي السوفسطائية، والكاذبة بالكل فهي الشعرية»[5]. إن وصف الشعر بـ(الكذب) لا يعني التهوين منه مطلقا، وإنما وصف بها «لتمييز الأقاويل الشعرية عما يعتمد إطلاقا على البرهان، ويكون صدقا كله...لهذا من الخطأ الفادح أن نجعل كلمة (كذب) تهوينا من شأن الشعر»[6].

ويشير الفارابي إلى مسألة في غاية الأهمية، وهي اختلاف طرائق التأثير على في الفئات المجتمعية المتباينة، لذا وجد الشعر له حظوة عند (الجمهور) منهم، هدا الجمهور لا يستطيع أن يدرك الطريقة البرهانية التي تفوق مستواه العقلي والمعرفي، إن أذهان الناس (قدراتهم الإدراكية) متفاوتة بشكل كبير، فـ«أصناف انقيادات الذهن كثيرة، منها انقياد الذهن للشيء عن طريق ما؛ ينقاد عن الأشياء الشعرية..، ومنها انقياده للشيء على طريق الجدل، ومنها انقياده لما هو حق ويقين»[7]. إن خطاب الناس بصياغة تخييلية هو الذي يجعل للشعر قاعدة جماهيرية عريضة، فأغلب الناس يميلون إلى التخييل والحس، ويتبرمون من التجريد البرهاني، فالتخييل هو الذي يقدم الحقيقة الفلسفية متجاوزا صيغة البرهان والجدل.